

الوافي في الوفيات

قيل لي : ذا الذي غدوت تراه ... عمه بالجمال أصبح خاله .
إن تكلفت في هواه سلواً ... جاءني حسنه بألفي دلاله .
أصل ما بي دلاله قد دهاني ... وبراني فلا عدمت دلاله .
وكأني به تخيل دمعي ... أنه قد أساله فأساله .
وأذاب الفؤاد بالوجد حتى ... رق مما به العدى والأسى له .
لست أنسى ليالياً قد تولت ... نلت فيها من الحبيب وصاله .
كلما مدت النجوم شباكاً ... منع الصبح أن تصاد الغزاله .
أو تبدت فيها طلائع فجر ... سل برق الدجى عليه نصاله .
أيها القلب عد عن ذكر هذا ... إن عين الزمان فيها كلاله .
ما فؤاد المحب إلا مذاب ... ودموع المشوق إلا مزاله .
وكلام العذول إلا ملام ... ونفار الحبيب إلا ملاله .
ونقلت من خطه قال : أنشدني لنفسه قصيدته الرقطاء يعجم منها حرف ويطلق حرف وسماها :
مضمار الخواطر يمدح بها الوزير علم الدين يحيى بن الصاحب صفى الدين ابن شكر وهي : من
مجزوء الرجز .

قد فاز عندي رجل بحبه يستعجل .
ريم غرير نافر ... شويدين مخلخل .
أضلنا فلا ترى ... لنا برشد سبل .
فويح قلب صبه ... قلب مشوق وجل .
ليس يطيع قلبه ... فلا تلح عدل .
قم يا نديم ترتوي ... من كف ريم يرفل .
أبلج حيانا بصبح ... تحت ليل يسبل .
بكفه قد شعشت ... كبرق ليل يعجل .
جل فلا يدخل غم ... قط قلباً تدخل .
يحيائي كن لي إن هذا زمن مزلزل .
لا خوف من آفاته ... برب عزم يكفل .
هذا قصيد بك قد ... جل فلا يمثل .
وقال : وأنشدني لنفسه : من الطويل .

رنا واثنى كالسيف والصعدة السمرا ... فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى .
خذوا حذرکم من خارجي عذاره ... فقد جاء زحفاً في كتيبته الخضرا .
غلام أراد أن إطفاء فتنة ... بعارضه فاستأنفت فتنة أخرى .
فزرفن بالأصداغ جنة خده ... وأرخی عليها من ذوائبه سترا .
أغن يناجي شعره حلي خصره ... كما يعتب المعشوق عاشقه سرا .
وصلت بداجي شعره ليل وصله ... فلم أر صباحاً غير غرته الغرا .
أخوض عباب الموت من دون ثغره ... كذاك يغوص البحر من طلب الدرا .
غزال رخيم الدل في يوم سلمه ... وليث له في حربه البطشة الكبرى .
دري بحمل الكأس في يوم لذة ... ولكن بحمل السيف يوم الوغى أدرى .
أهيم به في عقده أو نجاده ... فلا بد في السراء منه وفي الضرا .
وظامية الخلخال إن وشاحها ... فهذا قد استغنى وذاك اشتكى الفقرا .
تلاُتلاً در العقد تيتهاً بجيدها ... وساكن ذاك النحر لا يذكر البحر .
لها معصم لولا السوار يصده ... إذا حسرت أكمائها لجرى نهرا .
دعنتني إلى السلوان عنه بحبها ... فما كنت أرضى بعد إيماني الكفرا .
بأي اعتذار ألتقي حسن وجهه ... إذا خدعتني عنه غانية عذرا .
تقول وقد أزرى بها حسن وصفه ... لحي أن رب الشعر أو ناظم الشعرا .
ألم ترني بين السماطين منشداً ... كأني على شاه أرمن أنثر الدرا .
ملكك كريم باسل عم عدله ... فمن حاتم وابن الوليد ومن كسرا .
أنني سخي تحت سطوته الغنى ... فخف وتيقن أن في عسره يسرا .
هو البحر بل استغفر أن في ... بنان يديه للندى أبحراً عشرا .
إذا قام ينميهِ الخطيب بمنبر ... تأود تيتهاً واكتسى ورقاً خضرا